خَمْسُ وَقَفَاتٍ بَعْدَ رَمَضَانَ (٥ شوال ١٤٣٥هـ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّين ، الْحَمْدُ للهِ الذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِإِتْمَامِ رَمَضَانَ ، وَأَعَانَنَا عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ، فَلَهُ الْحَمْدُ أَوَّلاً وَآخِراً وَظَاهِراً وَبَاطِناً ، وَنَسْأَلُهُ الْقَبُولَ وَالْغُفْرَانَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً .

أَمَّا بَعْدُ : فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، وَاعْمَلُوا لِنَجَاتِكم وَاعْتَبِرُوا بِمَا يَمُرُّ بِكُمْ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ حَيُّ الْقَلْبِ ، يَسْتَفِيدُ مِنْ تَجَارِبِهِ فِي الْحَيَاةِ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ : هَذِهِ وَقَفَاتٌ بِمُنَاسَبَةِ انْتِهَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ :

الْوَقْفَةُ الأُولَى (تَأَمَّلُوا) فِي مُرُورِ الأَيَّامِ وَفِي تَعَاقُبِ الدُّهُورِ وَالْأَعْوَام ، وَانْظُرُوا فِي تَقَضِّي السَّاعَاتِ ، وَتَخَالُفِ الْأَزْمَانِ وَالْأَوْقَاتِ ، فَمَا تَبْدَأُ سَنَةٌ حَتَّى تَنْتَهِي ، وَمَا يَهِلُّ هِلالُ شهرٍ حَتَّى يَنْقَضِي وَمَا تَطْلُعُ شَمْسُ يَوْمٍ حَتَّى تَغِيبَ ، وَهَكَذَا حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ بِخَرَابِ الْعَالَمِ وَذَهَابِ الْحَيَاةِ ، فَتَذَكَّرُوا بِانْقِضَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ نِهَايَةَ الدُّنْيَا وَبِدَايَةَ الآخِرَةِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)

الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ (التَّعَبُ فِي الْعِبَادَةِ) فَلَا رَيْبَ – أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ – أَنَّ فِي الصِّيَامِ كُلْفَةً وَمَشَقَّةً وَتَعَباً وَنَصَباً ، جُوعٌ فِي الْبُطُونِ وَظَمَأٌ فِي الْأَكْبَادِ ، وَمُجَاهَدَةٌ لِلنَّفْسِ عَلَى تَرْكِ الْمَلَذَّاتِ ، وَفَطْمٌ لَهَا عَنْ مُمَارَسَةِ الْمُشْتَهَيَاتِ ، وَهَذَا كُلْفَةٌ عَلَى النَّفْسِ وَثِقَلٌ عَلَى الْبَدَنِ ، وَلَكِنَّ تَعَبَ الطَّاعَةِ مَخْلُوفٌ بِأَمْرَيْنِ هُمَا : الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ ، وَالأَمَلُ الْقَلْبِيُّ لِنَوَالِ الأَجْرِ فِي الآخِرَةِ ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي الصِّيَامِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)
فَهَكَذَا سَائِرُ الطَّاعَاتِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ قَدْ يَكُونُ فِيهَا تَعَبٌ وَلَكِنَّهُ مَخْلُوفٌ بِأَجْرٍ فِي الآخِرَةِ ، وَرَاحَةٌ نَفْسِيَّةٌ فِي الدُّنْيَا .

الْوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ (مَعَ لَذَّةِ الْعِبَادَةِ) اعْلَمُوا – أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ – أَنَّ طَاعَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ فَوْزٌ وَنَجَاةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَسَعَادَةٌ قَلْبِيَّةٌ تَمْلَأُ الْقَلْبَ سُرُوراً وَعَافِيَةً ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أَنَّ الْعِبَادَةَ زَادٌ لِلآخِرَةِ وَنَجَاةٌ فِيهَا ، لَكِنَّهُ يَجْهَلُ أَنَّ الطَّاعَةَ تُورِثُ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَالأُنْسَ فِي

الْحَيَاةِ قَبْلَ الآخِرَةِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِنَّ فِي الدُّنْيَا لَجَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ ، وَقَالَ آخَرُ : إِنَّهُ لَتَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ لَحَظَاتٌ يَتَرَاقَصُ طَرَبًا ! وَقَالَ آخَرُ : مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا أَحْسَنَ مَا فِيهَا ! قِيلَ لَهُ : وَمَا أَحْسَنُ مَا فِيهَا ؟ قَالَ : الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ !

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : قَالَ بَعْضُ مَنْ ذَاقَ هَذِهِ اللَّذَّةَ : لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ يَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا : إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبْ . وَقَالَ الآخَرُ : إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً هِيَ فِي الدُّنْيَا كَالْجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ ، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ .

وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَذِهِ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهِ (إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا) قَالُوا : وما رياضُ الجنةِ ؟ قال (حِلَقُ الذِّكْرِ) وقال (مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ) وَلاَ تَظُنَّ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) يَخْتَصُّ بِيَوْمِ الْمَعَادِ فَقَطْ ! بَلْ هَؤُلاءِ فِي نَعِيمٍ فِي دُورِهِمُ الثَّلاثِ وَهَؤُلاءِ فِي جَحِيمٍ فِي دُورِهِمُ الثَّلاثِ . انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللهُ .

الْوَقْفَةُ الرَّابِعَةُ (الْأَوْرَادُ الْيَوْمِيَّةُ) ، فَمِمَّا يُعِينُ عَلَى الطَّاعَةِ – بِإِذْنِ اللهِ – وَيُيَسِّرُ الاسْتِمْرَارَ عَلَيْهَا التَّحْدِيدُ وَالتَّنْظِيمُ وَمَعْرِفَةُ مَاذَا يُرِيدُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْجِزَ ، فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِقَضَائِهِ .

وَتَأَمَّلُوا فِي أَرْكَانِ الإِسْلَامِ وَكَيْفَ أَنَّ الشَّرْعَ حَدَّدَهَا وَبَيَّنَهَا ، فَخَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، وَزَكَاةٌ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً ، وَصِيَامُ شَهْرٍ وَاحِدٍ كُلَّ سَنَةٍ ، وَحَجَّةٌ وَاحِدَةٌ وَاجِبَةٌ فِي الْعُمْرِ ، وَلِذَلِكَ يَسْهُلُ أَدَاؤُهَا وَالْتِزَامُ الإِنْسَانِ بِهَا وَلا تَشُقُّ عَلَيْهِ !

أَيُّهَا الإِخْوَةُ : يَنْبَغِي لَنَا إِذَنْ ، أَنْ نَتَعَاهَدَ أَنْفُسَنَا بِأَوْرَادٍ مِنَ النَّوَافِلِ نَسِيرُ عَلَيْهَا وَنَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ ، وَنَكْتَسِبُ بِهَا الْحَسَنَاتِ ، وَيُكَفِّرُ اللهُ بِهَا عَنَّا السَّيِّئَاتِ .

فَمِنْ ذَلِكَ : صِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكْعَتَانِ مِنَ الضُّحَى ، وَالْوِتْرُ آخِرَ اللَّيْلِ أَوْ قَبْلَ أَنْ تَنَامَ إِنْ خِفْتَ أَنْ لا تَقُومَ آخِرَ اللَّيْلِ .

وَمِنْ ذَلِكَ : وِرْدُ الْقُرْآنِ الْيَوْمِيُّ فَتَقْرَأُ جَزْءَاً يَوْمِيَّاً بِحَيْثُ تَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ شَهْرٍ مَرَّةً ، وَأَلْزِمْ نَفْسَكَ وَكُنْ مَعَهَا حَازِمَاً لِئَلَّا تَضِيعَ عَلَيْكَ الْأَوْقَاتُ وَتَتَصَرَّمَ عَلَيْكَ الآنَاءُ وَالسَّاعَاتُ ، وَسَوْفَ تَجِدُ نَفْسَكَ اسْتَفَدْتَ أَعْظَمَ الْفَائِدَةِ بِإِذْنِ اللهِ .

وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لَهُمْ أَوْرَادٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ ، فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوودَ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ – وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ – وَكَانَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ لَيْلَةٍ يَأْتِينَا بَعْدَ الْعِشَاءِ يُحَدِّثُنَا ... وَكَانَتْ لَيْلَةً أَبْطَأَ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَأْتِينَا فِيهِ فَقُلْنَا : لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَنَّا اللَّيْلَةَ قَالَ (إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ جُزْئِي مِنْ الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيءَ حَتَّى أُتِمَّهُ) .
قَالَ أَوْسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ قَالُوا ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ وَحْدَهُ . وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَ عَنْهُ ابْنُ كَثِيرٍ : إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ
فَتَأَمَّلْ هَذَا ! فَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ وردٌ ، وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لَهُمْ أَوْرَادٌ ، فَهَلَّا اقْتَدَيْنَا بِهِمْ ، وَأَرْشَدْنَا غَيْرَنَا بِذَلِكَ مِنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ وَالإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتِ ؟ فَإِنَّ (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . **أَمَّا بَعْدُ** :
فَالْوَقْفَةُ الْخَامِسَةُ (الْحَذَرُ مِنَ مَعَاصِي بَعْدَ رَمَضَانَ) ، بَعْضُ النَّاسُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ حِينَ امْتَنَعَ عَنِ

الْمُحَرَّمَاتِ فِي رَمَضَانَ ، يَحِقُّ لَهُ أَنْ يُعَوِّضَ مَا فَاتَ ، فَيَرْتَكِبُ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ ، ثُمَّ يُوجِدُ الْأَعْذَارَ لِنَفْسِهِ وَالتَّبْرِيرَاتِ ، حَتَّى تَوَلَّدَ عِنْدَ الْبَعْضِ الشُّعُورُ بِأَنَّ ارْتِكَابَ بَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ فِي الْعِيدِ أَمْرٌ يُتَسَاهَلُ فِيهِ ، ثُمَّ إِذَا نُوصِحَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ تَعَجَّبَ وَتَذَمَّرَ وَقَالَ : إِنَّ الأَيَّامَ أَيَّامُ عِيدٍ وَفَرَحٍ فَلا تُشَدِّدْ عَلَى النَّاسِ وَحَالَهُ (كَالتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْد قُوَةٍ أَنْكَاثاً)

فَاعْلَمْ يَا أَخِي الْمُسْلِمَ : أَنَّ رَبَّ رَمَضَانَ هُوَ رَبُّ شَوَّالٍ وَذِي الْقَعْدَةِ وَسَائِرِ الشُّهُورِ وَبِئْسَ الْقَوْمُ لا يَعْرِفُونَ اللهَ إِلَّا فِي رَمَضَانَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا ، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا التِي فِيهَا مَعَاشُنَا ، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا التِي فِيهَا مَعَادُنَا ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ . رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ قُلُوبَنَا بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّ قُلُوبَنَا مِنْ الْخَطَايَا كَمَّا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَطَايَانَا كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ : عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ : عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ . اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي دُورِنَا وَأَصْلِحْ وُلَاةَ أُمُورِنَا ، وَوُلَاةَ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .